أعلام الجزائر في القرن (12هـ/18م)

من خلال كتاب "المعجم المختص" للعلامة المصري مرتضى الزبيدي

Algerian Notables in the (12th AH/18th CE) Century through the book 'Al-Mu'jam Al-Mukhtas' of Egyptian Scholar « Mortada Al-Zubaidi »

د. هداجي رمضان
جامعة أحمد درايعية - أدرار (الجزائر)

Hadadji Ramdane
University Ahmed Draya – Adrar (Algeria)

hadadjiramdhane3@univ-adrar.edu.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2024/02/16
تاريخ القبول: 2024/10/23
تاريخ النشر: 31/ 12/ 2024
****
الكلمات المفتاحية:
الزبيدي؛
أعلام الجزائر؛
مصر؛
الحج؛ الرحلات.

الملخص

يعتبر العلامة مرتضى الزبيدي أحد عباقرة الإسلام المؤثرين خلال القرن (12هـ/18م)، بمؤلفاته النيرة وعلاقاته مع علماء الأمصار، فلقد خصّ كتاب "المعجم المختص" لتراجم علماء ارتبطوا به عن طريق المجالسة أو المراسلة، من بينهم جزائريون، اتخذوا من مصر مستراحا لولوج أرض الحجاز والشام، ومهبطا دائما أو مؤقتا للتزود من معين مرجعيتها الدينية. وسيكون هذا العمل فرصة لتعريف الباحثين بشخصيات لا تزال غامضة في البحث الأكاديمي، قد تحتاج إلى أعمال فريدة تليق بمكانتهم العلمية، ودورهم الحضاري في التعامل مع العلماء من مختلف الآفاق..

***Abstract* :**

The scholar Mortada al-Zubaidi is considered one of the influential geniuses of Islam during the 12th century AH/18th century CE, through his resplendent works and relationships with scholars from various regions. This is highlighted in his book "Al-Mu'jam al-Mukhtas," which compiles biographies of scholars associated with him through companionship or correspondence. Among them were Algerians who considered Egypt a stopping point to access the lands of the Hijaz and the Levant, either as a permanent or temporary base to replenish from its religious reference.

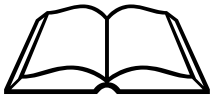
This work provided an opportunity to introduce researchers to figures still obscure in academic research, requiring unique works befitting their scholarly stature, and highlighting their civilizational role in engaging with scholars from various horizons..

Article info

Received ***16/02/2024***
Accepted ***23/10/2024***
Publication ***31/12/2024***

******

Keywords*: Al-Zubaidi; Algerian Notables; Egypt; Hajj; Journeys.*



1. مقدمة:

تخدم كتب المعاجم والفهارس الدراسات التاريخية، فهي تساعد الباحثين على تثبيت ما تناولته أو أهملته الدراسات السابقة، ولهذا يمكن ادراج مثل هذه الكتابات ضمن مصادر البحث لاستكشاف تراجم الأعلام، ويعتبر كتاب "المعجم المختص" للعلامة مرتضى الزبيدي من بين تلك المؤلفات، التي سايرت مراحل حياة بعض الأعلام خلال فترة الحكم العثماني للبلاد الإسلامية في القرن (12هـ/18م)، فالحركة العلمية التي عرفتها مصر بواسطة حواضرها الكبرى (القاهرة والإسكندرية)، دفعت الكثير من الأعلام الجزائريين إلى السفر الطوعي أو القصري لزيادة المعارف وتحصيل الإجازات، ومهما قيل عن دوافع تلك الرحلات سواء الحجازية أو العلمية، فهي لم تخلو من الطابع التثقيفي المعرفي، الذي فسح المجال لهؤلاء النوابغ لإبراز ملكاتهم العلمية، وهو ما حرص الزبيدي على نقله، من خلال فرضية التزاوج الثقافي بين الجزائر ومصر، والتي كانت تمثل المعبر الحتمي للحجاج المغاربة بما فيهم الجزائريون للبقاع المقدسة، أو لمزاولة التكوين بأحد مراكزها العلمية العتيقة.

وتكمن أهمية دراستنا لمثل هذه الموضوعات، أنها تلقي الضوء على حياة بعض الأعلام الجزائريين وآليات تعارفهم مع نظرائهم المشارقة بلسان الأعلام المشرقيين، فهي إن غلب عليها الطابع التراجمي، تقف عند مرحلة انتقالية من تاريخ الجزائري الثقافي، عن طريق تحول وجهة علمائها إلى إيالة مصر العثمانية عوض مناطق الجوار المغاربي، وذلك بغرض توسيع أفاق الترابط المعرفي مع البلاد الإسلامية المترامية الأطراف، وهذا من شأنه أن يضعنا أمام إمكانية تبادل معرفي بين الجانبين، بواسطة الرجوع لما دونه الزبيدي عن سير وتراجم أعلام الجزائر المعاصرين، لخلق جسر تواصل علمي بينهم وعلماء المشرق الإسلامي تزامنا مع فترة حياته. ومن أجل ذلك نطرح مجموعة تساؤلات:

- كيف اتسمت علاقة الزبيدي بالأعلام الجزائرين؟

- ماهي الأدوات البحثية التي اعتمدها الزبيدي في تدوين سير تراجمهم؟

- هل استطاع من خلال مؤلفه إبراز واقع الترابط بين أعلام الجزائر وعلماء المشرق؟

- كيف يمكن اعتماد كتاباته كإضافة نوعية لأعمال البحث التاريخي؟

وبناء على ذلك؛ سطرنا لهذا البحث خطة قوامها مقدمة وعرض وخاتمه، حيث قسمنا العرض لثلاثة عناصر، العنصر الأول: التعريف بالمعجم المختص ومؤلفه الزبيدي؛ أما العنصر الثاني: تناولنا فيه دواعي ارتباط أعلام الجزائر بمصر وعلمائها؛ والعنصر الثالث: تطرقنا فيه لتصنيف الزبيدي للأعلام الجزائريين في مؤلفه. ولدراسة هذه الخطة اتبعنا المنهج التاريخي القائم على سرد الأحداث وتمحيصها، ومقارنة مضامينها مع ما هو متاح من مصادر ومراجع، فحاولنا قدر المستطاع ربط الأحداث والتراجم بسياقات تاريخية ذات علاقة بالموضوع من أجل تحقيق المعلومات وتثبيتها.

2. التعريف بالمعجم المختص ومؤلفه

1.2. التعريف بالمعجم المختص:

يعتبر مُؤَلَّفُ "المعجم المختص" من كتب التراجم المهمة خلال فترة التواجد العثماني في البلاد العربية والإسلامية، وقد حرص مؤلفه أن يكون ملمًا بسير الأعلام، ممن اجتمع بهم أو عقدته صلة تلمذة أو صداقة بهم، فجاء المؤلف موسوعي المادة العلمية، بما ثرى به من معلومات نادرة التداول، تعكس حرص مؤلفه على دقة الطرح وأمانة النقل، وربط الشخصيات بموطن نبوغها وعوائلها وأقاربها، وهذا ما جعل المؤلف يحظى بمكانة اجتماعية عند نزلائه[1]، الذين توافدوا عليه بالعشرات إن لم نقل بالمئات من مختلف الدروب والمداشر، فهو يعد واحد من بين خمسة[2] رجال عظام، حملوا على عاتقهم بعث النهضة

---

[1] - لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518-1830م)، ص: 350.

[2] - هؤلاء الأعلام الخمس هم: عبد القادر بن عمر البغدادي صاحب خزانة الأدب، وحسن بن إبراهيم العقيلي الجبرتي المعروف بالجبرتي الكبير، ومحمد بن عبد الرزاق الحسيني المشتهر بالمرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس، ومحمد بن عبد

الإسلامية العربية في القرن (12هـ/18م)، لما أحسوا بالخطر المحدق بدار الإسلام من الغرب الأوروبي، الذي كان يعيش حينها نهضة علمية، أخرجت ممالكه من السبات العميق ، فهب الزبيدي وإخوانه - كل في مجال اختصاصه - من جوف الغفوة الغامرة، يحاولون إيقاظ الجماهير المستغرقة في غفوتها، لتصليح الخلل الذي حل بديار الإسلام في علوم اللغة والدين والعقيدة والحضارة... إلخ، فعملوا على بعث التراث اللغوي والديني وعلوم العربية والإسلام، ليحيوا ما كاد يخفى على الناس بمؤلفاتهم ومجالسهم[1].

ومن خلال تقصي أخبار أعلام "المعجم المختص"، يكتشف القارئ شخصية مؤلف موسوعي، بشهادة من عاصروه أو اطلعوا على مضامين مؤلفه، لاسيما وأن الزبيدي تطرق لتراجم مشايخ، من بينهم علماء يندر الوقوف على تراجمهم في المصادر المتاحة، حتى وإن وجدت يعتريها القصور والعوز في بعض الجوانب، أو تكون مادتها الخام معزوة إليه، فيكون مصدرها الأول، ساعده في ذلك عنايته بعلم الأنساب، وسياقه أنساب المترجمين سياقا كاملا، وتحديد مواطنهم، والمناطق التي زاروها، والشيوخ الذين انتفع بهم أو افادوه، حيث وصل عدد الأعلام المترجم لهم حوالي ست مئة ترجمة، وخلالها وسع مجال التراجم لعلماء مغاربة يعدون بالعشرات، فاحتوى مؤلفه تقريبا على تراجم نحو المئة والخمسين منهم[2].

أما عن دواعي التأليف، فنذكر ما خطه قلمه في مقدمة كتابه: "وهذا معجم مختص بذكر من أخذت عنه العلوم والمعارف من شيوخي وآبائي، ومن جالسته أو جالسني من طلبة الحديث من رفيق وصاحب وصالح، أو تبركت من أرباب الكشف والأحوال الصادقة، أو من المشاهير، وقد أذكر فيه من أحبني في الله ورسوله وأحببته، وأنشدني شيئا أو أنشدته، أو استفدت منه شيئا، أو سمعت بأخباره فكاتبته أو كاتبني، وبعضهم أميز في هذا الشأن من غيره، وبعضهم مزجي البضاعة، كما أنبه عليهم

الوهاب التميمي النجدي، ومحمد بن علي الخولاني الشوكاني الزيدي؛ ينظر، شاكر محمود محمد، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص: 82.

[1] - نفسه، ص: 83.

[2] - الزبيدي محمد مرتضى، المعجم المختص ويليه معجم شيوخه الصغير وإجازاته للعلامة محمد سعيد السويدي، ص: 8.

بنعوتهم، وبعضهم ليس له عناية بهذا الشأن، ولكني أذكره؛ لأني بلوت منه معروفا، مرتبا ذلك على حروفي التهجي، مراعيا الترتيب في اسم أبيه، ومن لم أجد اسم أبيه ذكرته في آخر الحرف" ا. هـ[1].

ويتضح من خلال هذه التحلية التي استهل بها الزبيدي "المعجم المختص"، أنه راعى من تأليف المعجم اعتبارات وجوانب متفرقة، فلقد كان حريصا على الترجمة لمختلف الأعلام الذين اجتمع بهم، ومرد ذلك؛ كل لقاء لا يخلو من فائدة فهو مثمر، سواء كان اللقاء محبة في الله، أو بدافع التبرك والصلاح، أو تحصيل معارف، أو اسدال معروف، ويقوم منهج الزبيدي في كتابة "المعجم" على ترتيب الأعلام المترجم لهم حسب حروف التهجي، ولأنه عاش في عصر شاع فيه التأثير الصوفي، فكان ابن عصره لم يشكل الاستثناء، وولد زمانه وأوانه، وقد بث في ثنايا كتابه وتراجم أعيانه كثيرا من المصطلحات الشائعة عندهم: كالقطب، والمدد، والطرق، والخرق، وذكر أرباب الكشف والأحوال[2]، وكثيرا ما انتشرت مثل هذه الأوصاف والألفاظ بين علماء القرن الثاني عشر في العالم الإسلامي، وبالأخص علماء مصر وبلاد المغرب الإسلامي.

وبالرغم من أن تلك الأوصاف والعبارات أخلّت - قليلا - بمنهج الكتابة عند الزبيدي، فلم تؤثر في القيمة العلمية "للمعجم" الذي اثنى عليه الكُتاب والمؤرخون، لجزالة أسلوبه، وسلاسة لغته، وتنوع تراجمه بين علماء مغربيين ومشرقيين وأفارقة، فمن محاسن كتاب "المعجم" ما ساقه الشيخ عبد الحي الكتاني، أن المعجم اشتمل على نحو ست مئة (600) ترجمة بين مشايخ وآخذين عليه، وكذلك شهادة المحقق - المشهور - الدكتور صلاح الدين المنجد عند ربطه شخصية الزبيدي العلمية بالمعجم لمعرفة تكوينه الثقافي، وتدوينه العديد من شخصيات العلماء الذين أثروا فيه والملوك والأمراء التاريخيين، ويبقى استغراب المحقق من دقة التدوين، وتوثيق الأخبار، والأحوال، والسماعات، والروايات، والإجازات، خير دليل على أن هذا المعجم كنز لا ينفد معدنه، ومعين لا ينضب مورده[3].

---

[1] - نفسه، ص: 8.

[2] - نفسه، ص: 15.

[3] - الزبيدي، المعجم، ص: 15.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن تقسيم التراجم جاء هجائيا إلى ستة عشر حرفا، اختلفت في الترجمة بين الطول والقصر، على قدر معرفته بالمترجم إليه، وصلات قرابته العلمية به، واطلاعه على نسبه وموطنه ومشايخه وعلاقاته، بينما غابت عن التراجم أسماء بعض كبار مشايخه؛ كصالح الكواشي، والحسن الجبرتي المصري، والشيخ عبود وعلي بن العربي السقاط... إلخ، وأخرين ممن أخذوا عنه كصالح الفلاني، والشهاب أحمد العطار، والتهامي بن عبد الله السجلماسي، وصالح بن محمد بن ياسين الحبشي، وأحمد بن رمضان الطرابلسي، وعبد القادر بن شقرون الفاسي، ومحمد بن الحاج بن سعد التلمساني، وأبي رأس الناصري المعسكري... إلخ، وأغلب هؤلاء كان قد لمح إلى أسمائهم في المتن ضمن تراجم أعلام أخرين، حيث اكتفى بالإشارة إلى رابطته بهم، إما بالمشيخة أو التلمذة لا أكثر من ذلك ولا أقل[1].

ومن بين التراجم بعض الحروف شغلت حيزا معتبرا كحرفا "العين والميم"، خصوصا أسماء العبادلة والعمامرة والمحمدون، وهناك تراجم اقتصرت على أسماء قليلة لكن صفحاتها متعددة، خص بعض شخصياتها بتراجم وافية، تناول فيها أشعارهم، وثناء الأدباء والشعراء عليهم، مثل "حرف القاف" الذي جاء في أربعة وعشرين صفحة، كان للعلامة "القاسم بن عطاء الله المصري" حصة الأسد من التراجم، حيث جاءت ترجمته في واحد وعشرين صفحة، تحدث فيها بإسهاب عن أشعاره وأقوال العلماء فيه، وثناءه - أي القاسم - في أبيات من الشعر على شرح الزبيدي "تحفة العروس".

وفي ختام هذه القراءة الموجزة لكتاب "المعجم المختص"، نشير إلى أن المحققان (نظام محمد صالح يعقوبي ومحمد بن ناصر العجمي)، ارفقاه بتذييل، وهو عبارة عن برنامج شيوخ الإمام الزبيدي الصغير، نقلا عن "فهرس الفهارس" للكتاني، وإجازته للعلامة محمد سعيد السويدي البغدادي التي كانت في الظاهرية بدمشق عام 1194هـ/1780م الزبيدي، وإجازة أخرى عام 1204هـ/1790م، بالإضافة إلى ما تناوله - الزبيدي - بخطه من ذكره لمقامات تصحيفية ليطلع عليها القارئ، ويصحح ما فيها، إن وجد في قراءتهما لها بعض الأخطاء الغير مقصودة، إضافة إلى بعض المشجرات الشعرية، والمربعات.

---

[1] - نفسه: ص: 9

2.2. التعريف بالزبيدي

1.2.2. نشأته:

هو محمد مرتضى بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني العلوي، الزبيدي النسب، هكذا وصفه أدرى الناس به شيخه الوجيه العيدروس في ديوانه "تنميق الأسفار"، وقال عنه غيره: المكنى أبو الفيض وبأبي الوقت، الملقب: مرتضى محمد بن أبي الغلام محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب أبي الضياء محمد بن عبد الرزاق الحسيني، سماه القاضي ابن الحاج في "الإشراف على من بفاس من مشاهير الأشراف" بخاتمة الحفاظ بالديار المصرية الشيخ مرتضى الحسيني الزبيدي[1].

كما يعرف بالواسطي فهو عراقي الأصل، هندي المولد، زبيدي التعلم والشهرة، مصري الوفاة، حنفي المذهب، قادري أشعري العقيدة[2]، هكذا يصف نفسه في كثير من إجازاته، وكان مولده كما أرخ لنفسه سنة 1145هـ/1733 في بلجرام بالهند[3]، وتلقى بعض تعاليمه على المحدث محمد فاخر بن يحيى الإلهابادي، والشاه ولي الله الدهلوي، فسمع عليه الحديث وأجازه، ثم ارتحل لطلب العلم، فدخل أرض اليمن، وأقام بها مدة طويلة، ببلدة "زبيد"، وبها اشتهر بالزبيدي، وحج مرارا، وبالمجمل أخذ على نحو ثلاثمائة شيخ من بلاد متفرقة، ذكرهم في معاجمه: "الكبير"، و "الصغير، و "ألفية السند"، و "شرحها"، غير أن اشتهار أمره، وانتشار خبره في الدنيا، كان بعد استيطانه مصر، فكان أول دخوله لها سنة 1167هـ/1754م، وبها كناه الشيخ أبو الأنوار ابن وفاء بـ"أبي الفيض" سنة 1182هـ/1754-1755م[4].

ومن بين العدد الهائل من شيوخ الزبيدي، شكّل الشيخ عبد الرحمن العيدروس الاستثناء، بحيث لازمه ملازمة كلية، وتأثر به تأثرا مطلقا، فهو الذي ألبسه الخرقة، وأجازه بمروياته ومسموعاته بعدما قرأ عليه "مختصر السعد"، وطرفا من "إحياء علوم الدين"، ثم أشار عليه بزيارة مصر لما رأى فيه من فهم

---

(1) - الزبيدي، المعجم، ص: 18

(2) - الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ج7، ص: 70

(3) - الزبيدي، المعجم، ص: 18؛ الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 70.

(4) - الزبيدي، المعجم، ص: 18.

ودراية "وهو الذي شوقني إلى دخول مصر بما وصفه لي من علمائها وأمرائها وأدبائها، وما فيها من المشاهد الكرام، فاشتاقت نفسي لرؤويتها، وحضرت مع الركب، وكان الذي كان"[1].

2.2.2. رحلاته العلمية:

كانت رحلات الزبيدي طويلة وممتعة في آن واحد، طلبا للعلم في البلاد الإسلامية المترامية الأطراف، بحيث استغل رحلاته للبقاع المقدسة لأداء شعائر الإسلام، والجلوس في حضرة مشايخ العلم أمثال: الشيخ عبد الله السندي، والشيخ عمر بن أحمد عقيل المكي، والشيخ عبد الله السقاف، والمسند محمد بن علاء الدين المزجاجي، والشيخ سليمان بن يحيى، إضافة إلى شيخه عبد الرحمن العيدروس الذي التقاه مرة أخرى خارج اليمن في أرض الحجاز، والشيخ عبد الله الميرغني الطائفي وغيرهم، ثم انتقل إلى الطائف، ومنها إلى اليمن ورجع منها سنة 1166هـ/1753م، وبعد ذلك ولج مصر، وفيها أخذ عن علماء أزهريين وصعايدة منهم: السيد علي المقدسي الحنفي، وحضر دروس الشيخ أحمد الملوي والجوهري والحنفي ومحمد البليدي وعلي الصعيدي وغيرهم، فتلقى عنهم وأجازوه وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه[2].

3.2.2. أعماله:

يصنف مرتضى الزبيدي بين علماء عصره على أنه مدرسة أدب وفقه وحديث ولغة ونسب وتاريخ[3]، فهو لم يكتف بشعبة معينة من العلوم، بل حرص على جمع العلوم التي أغفلها المتأخرون: كعلم الأنساب والأسانيد وتخاريج الحديث، واتصال طرائف المحدثين المتأخرين بالمتقدمين، فألف في ذلك كتبا

---

(1) - الجبرتي عبد الرحمن بن حسن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج2، ص: 303.
(2) - الجبرتي، عجائب الآثار، ج2، ص: 304.
(3) - الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 70.

ورسائل ومنظومات وأراجيز جمة، تزيد عن العشرين بين تأليف وشروح على أعمال ورسائل[1]، نذكر من أهمها على سبيل المثال لا الحصر:

- تاج العروس من جواهر القاموس في عشرة مجلدات
- إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي في عشرة مجلدات
- عقود أدلة مذهب الإمام حنيفة في مجلدين
- شرح الصدر في أسماء أهل بدر في عشرين كراسا
- النفحة القسية بواسطة العيدروسية جمع فيها أسانيد شيخه العيدروسي في النحو
- ألفية السند في الحديث
- التكملة والصلة والذيل لما فات صاحب القاموس في اللغة في مجلدين
- رسالة إيضاح المدارك بالإفصاح عن العواتك
- جذوة الاقتباس في نسب بني العباس
- عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة في مجلدين
- رسالة عقد الجمان في بيان شعب الإيمان

4.2.2. وفاته:

توفي الحافظ مرتضى الزبيدي رحمة الله عليه بالطاعون في شهر شعبان سنة 1205هـ/1791م، وذلك بعد أن صلى صلاة الجمعة في مسجد الكردي المواجه لداره، فطعن بالوباء بعد فراغه من الصلاة[2]، لم يعقب من الولد ذكرا ولا أنثى، ولم يُرْثِهِ أحد من القراء إلا زوجه، رغم عظيم الشهرة التي

---

[1] - الجبرتي، عجائب الآثار، ج2، ص: 314؛ الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 70

[2] - الزبيدي، المعجم، ص: 320.

كانت له بأرجاء المعمور، وذلك لاشتغال الناس بأمر الطاعون الذي مات به[1]، وخلف من ورائه مكتبة حافلة بالكتب الفقهية والأدبية والتاريخية والمراسلات، منها مؤلفاته الكثيرة في شتى أنواع العلوم، وكانت وفاته يوم الأحد، ودفن في قبره الذي أعده بنفسه.

3. دواعي ارتباط أعلام الجزائر بمصر وعلمائها:

1.3. الحج والتحصيل العلمي

تعتبر مصر بلاد الحضارة التي كانت تشد إليها الركاب على مر التاريخ، إما للتجارة أو العلم أو اتخاذها معبرا لولوج بلاد المشرق بعد فرض شعيرة الحج على المسلمين، وزيارة مهوى الأفئدة من الأماكن المقدسة: الكعبة المشرفة، والمزارات الكبرى، وكذا قبر النبي ﷺ[2]، ولعل النهضة التي عرفتها بوجود الأزهر الشريف على أرضها، واهتمام سلاطينها بالحركة العلمية بواسطة تقريب العلماء وتشجيعهم[3]، دفعت العلماء الجزائريين لطول البقاء بها خلال رحلاتهم الحجازية التي وافقت التواجد العثماني بمصر، ومما زادهم حماسة تخصيص أروقة بالجامع الأزهر، على مسمى الجهة التي تفد منها وفود الطلاب، على غرار رواق المغاربة، رواق التكرور، رواق المشارقة ... إلخ، فكان رواق المغاربة الذي يستقبل طلاب العلم المنتسبين لبلاد المغرب الإسلامي، يعج بعلماء جزائريين سجلوا أسمائهم بأحرف من ذهب، خلدتها كتب التاريخ والرحلات والتراجم، عاشوا خلالها مجاورين في الجامع الأزهر، على غرار الشيخ محمد الزواوي المعروف بالأزهري، والشيخ محمد بن عبد الله أيوب التلمساني المعروف بالمنور وغيرهما[4].

---

(1) - نفسه، ص: 19

(2) - بوسلامة محمد، "هجرة الجزائريين إلى بلاد المشرق في العهد العثماني (1518-1830)"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال أفريقيا، 2019، العدد: 1، ص: 327.

(3) - أبو عطيوي عايشة حسن حماد، الحياة العلمية في مصر والشام في القرنين الثامن والتاسع الهجريين من خلال كتاب "إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ" لابن حجر العسقلاني، ص: 27.

(4) - لزغم، الإجازات العلمية، ص ص: 330-334

ويسود الاعتقاد بتراجع الحركة العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، جراء سياسة أصحاب القرار الأتراك، مما هيأ أسباب النفور والهجران إلى مواطن الابتكار والعطاء العلمي في بلاد الحرمين وجامع الأزهر الشريف، ارتقوا فيهما إلى مصاف المبرزين المجتهدين في غير واحد من أفانين العلم، فكان التصور السائد لدى العلماء المغاربة أن شخصيتهم العلمية يعتريها نقص، لا تكتمل إلا بمطارحة علماء المشرق الإسلامي في مصر أو أرض الحجاز[1]، ولا شك أن هذا الرغبة كانت وراء كثرة الرحلات الجزائرية إلى تلك الديار، بغرض مزاوجة مهام التجارة والعلم والحج في آن واحد، وبالاستناد إلى وثائق المحاكم الشرعية المصرية في الفترة الممتدة ما بين أعوام (1517-1798م)، تشير إلى تواجد العديد من البيوت التجارية المغربية المقيمة بمصر، زادها حيوية توسط مصر عدوتي المغرب والحجاز[2].

فهناك الكثير من الرحلات الحجازية التي طغى عليها الطابع الديني التعليمي، قادت أعلام جزائريين للنزول بالقاهرة، حيث استغل أصحابها فرص الحضور للتزود من معين علماء مصر الجهابذ، كصاحب رحلة "نزهة الأنظار في فضل التاريخ وعلم الآثار"، الشيخ الحسين بن محمد الورتيلاني (ت 1194هـ/ 1780م)[3]، حج ثلاث مرات، وسجل خلال تلك الرحلات دقائق الملاحظات، من أماكن زيارة وأشخاص التقى بهم، ومشايخ تعلم على يديهم وحاورهم في قضايا فقهية من أمثال: الشيخ محمد البليدي الذي أجاز الورتيلاني في شتى ضروب العلم[4]، إضافة إلى الشيوخ الحفناوي والجوهري والنفزاوي وعلي الصعيدي، وكذلك الشيخ

---

(1) - بومدين محمد، "الرحلات العلمية التلمسانية الوافدة على الأزهر الشريف ودورها في ربط أواصر التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب ما بين 962هـ/1555م-1107هـ/1699م"، مجلة التاريخ المتوسطي، العدد: 2، 2020، ص ص: 147.

(2) - عبد الرحيم عبد الرحمن، المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517-1798) "دراسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية، ص ص: 68-73.

(3) - هو حسين بن محمد سعيد بن علي البكاي الحسني، من العلماء الجزائريين الذين ذاع صيتهم خارج الديار، حصل إجازات في علوم العقل والنقل وأخرى في أوراد الطريقة الشاذلية أثناء مجاورته الأزهر، فمن الذين أجازوه في سائر العلوم الشيخ البليدي، وعبد الوهاب العفيفي، وهو الذي لقنه أوراد الطريقة الشاذلية؛ ينظر، سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، 2/ 49.

(4) - الورتيلاني الحسن بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورتيلانية، ص: 285.

خليل المغربي، فسماه "خاتمة المحققين وإمام الأجلاء العارفين، شيخنا الشيخ المغربي، هو في العلم بحر لا ساحل له، وأن العلوم كلها ضروريات عنده لاسيما علم المعقول"[1].

وما يقال عن الورتيلاني ينطبق على الرحالة المؤرخ أبي رأس ناصر المعسكري (ت 1239هـ/1824م)[2]، الذي كانت له رحلات علمية لحواضر المغرب الإسلامي ومصر والحجاز والشام، جمعها في مؤلفه "فتح الإله"، قسمه إلى خمسة أبواب، خصص الباب الثالث منها لرحلته المشرقية والمغربية، تحت مسمى "في رحلتي إلى المشرق والمغرب وغيرهما، ولقاء العلماء الأعلام، وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام"، وأدرج أسماء علماء مصريين اتسموا بالتضلع والموسوعية، من أمثال: العلامة مرتضى الزبيدي الذي سماه بشيخنا الرضي الجهبذ الأمضي، قرأ عليه الصحيحين ورسالة القشيري ومختصر العين ومختصر الكنز الراقي، وأجازه إجازة مطلقة عن كل مروياته ومسموعاته، ثم تطرق لعلماء أخرين كالشيخ الأمير والعلامة الشرقاوي والشيخ عصمان الحنبلي، وقد استثمر تلك الرحلة للتفقه في المذاهب الأربعة، بقراءة مذهب الأحناف والشافعية والحنابلة، زيادة عن المذهب المالكي من مشايخ كثر، حيث قرأ مذهب الإمام حنيفة على الشيخ أحمد بن عمار، وعلى الشيخ بيرم مفتي تونس، وعلى الشيخ المرتضى، وأخرين تطرق لهم في سياق الرحلة[3].

2.3. الدوافع السياسية: إن الظروف المضطربة التي كانت تعيشها الجزائر خلال القرن (12هـ/ 18م)، هي تحصيل لحالات تقهقر الأقاليم، خصوصا الضغط الإسباني على وهران، والمغربي (الوطاسي)

---

(1) - الورتيلاني، نزهة الأنظار، ص: 286

(2) - هو محمد أبو رأس بن أحمد بن عبد القادر المعسكري الجزائري حافظ المغرب الأوسط ورحالته، صاحب التآليف الكثيرة في الفقه والأدب والتاريخ والأنساب، زار بلاد عدة طلبا للعلم، ولقي أعلاما كثر في بلاد فاس وتونس وقسنطينة ومصر والشام والحجاز، توفي ببلاده معسكر عشية الأربعاء 13 جمادى الثانية عام 1239هـ ودفن بها؛ ينظر، الكتاني عبد الحي، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ج1، ص: 150.

(3) - أبو رأس محمد الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ج1، ص: 115-116-117.

على تلمسان وما جاورها، بالإضافة إلى امتداد التوسع العثماني إلى غرب البلاد، مما جعل فئة العلماء مكرهة على السفر القصري بعيدا عن الأهل والديار، وذلك لعدم الشعور بالراحة، ولا بالمناخ الملائم للابداع، والاجتهاد في الرأي والحياد السياسي[1]، وبالتالي؛ شد الكثير منهم عصا الترحال، حاملا أمتعته وأهله، للبحث عن مواطن الاستقرار والنبوغ، حتى تهدأ عاصفة الفتن والحروب التي عادة ما تأتي على الأخضر واليابس، وبالرغم من انزواء الأعلام في خلواتهم بعيدا عن مشاكل السياسة الداخلية، إلا أن بعضهم أُحجم نفسه فيها، فأصبحت رؤوسهم عرضة للقناص[2]. كما حدث مع الشيخ عيسى الثعالبي في عهد الداي يوسف باشا، ويحيى الشاوي وابن الترجمان، الذي اعترف له الجبرتي بالذكاء والنباهة، فأقام بمصر طويلا، وبنى بها دار ضرب السكة، كما كانت لها مكانة خاصة لدى الأمير أحمد آغا، فكان لا يفارقه ويغدق عليه بالعطايا[3].

4. تصنيف الزبيدي للأعلام الجزائريين في المعجم المختص:

1.4. علاقة الزبيدي بأعلام الجزائر:

ارتبط الزبيدي بأشخاص من بلاد كثيرة، فجاء مؤلفه "المعجم المختص" كترجمان لعلماء الأمصار الذين عاصرهم، حظي خلالها أعلام الجزائر بحظ - مقبول - من التراجم، إذ عددنا ما يقارب العشرون (20) ترجمة، والشيء الذي يميز تراجمه أولئك الأعلام، أنه لم يكتف بتدوين اسم العالم، بل يتجاوزه لترتيب أجداده، ومجد عائلته العلمي، وربما يتطرق لعلاقاته مع أمراء بلاده، أو أعلام التقى بهم، وآخرين كانت له مناظرات علمية معهم، وقد يصل الحد - أحيانا - إلى درجة عرض خصوماته مع مخالفيه في الطريقة أو الذين لا يقرون بمنهجه، كما هو الشأن مع الشيخ عبد القادر بن محمد الراشدي القسنطيني[4]

---

[1] - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 424.

[2] - بوسلامة، هجرة الجزائريين، ص: 329.

[3] - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 429.

[4] - عبد القادر بن محمد الراشدي من العلماء المجتهدين، له من المؤلفات كتاب حافل في مباحث الاجتهاد، وكتاب آخر في أصول عائلات قسنطينة وقبائلها وبيان الشريف منهم والعربي والبربري، وآخر عن تحريم شراب الدخان، وكان كثير

(ت 1194هـ/1780م)[1]، الذي طغى على سلوكه طريق السلف، فكان يعقد مجالس في قسنطينة عند أميرها، يباحث فيها العلماء بشأن منهجه، ويستصغر أفكار وأراء المشككين في منهج طريق التصوف[2].

ويمكن أن نعز تحديد الزبيدي لهذه التفاصيل في تصانيف الأعلام، لدرايته الواسعة بأهل الجزائر خاصة ومغرب الإسلام عامة، فشهرته العظيمة ومنزلته الكبيرة رسخت اعتقادا زائد في شخصه، إذ أصبح تقليد كل وارد مصر حاجا أن يصله بشيء، وإلا كان حجه غير كاملا، وقد بدى أثر هذا الاعتقاد في فتح الزبيدي منزله على مصرعيه لاستقبال الحجاج والمتعلمين، وإذا ورد عليه أحد المغاربة يسأله عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته وأولاده، ويحفظ تلك المعلومات أو يكتبها في ورقة[3].

ومثلما سنرى في تراجم الأعلام، كيف أن الزبيدي كان مطلعا على دقائق سير علماء الجزائر، وكناهم، وتسلسل شجرة أنسابهم، كما هو الحال مع الشيخ عبد القادر بن محمد المعسكري (ت 1192هـ/1778م)[4]، فلم يكتف بنسبه المتسلسل، بل تخطاه إلى ألقاب أجداده وأبنائه، وهذا ليس بالغريب على عالم مطلع بتاريخ الشعوب وعلم الأنساب، فقال عنه أن "والد عبد القادر يعرف بالسنوسي، وجده يعرف بابن عبد الله، ووالده يعرف بالهاشمي، وجده الأخير يعرف بـ "دحوا بن زرقة"

الخصومات، حيث وقعت بينه وبين طلبة قسنطينة مخاصمة عظيمة ومنازعة كبيرة في مسألة حتى رموه بالتجسيم واتهمه آخرون بالكفر...؛ ينظر، الحفناوي محمد أبي القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، ص ص: 219-222.

[1] - هذا التاريخ 1194هـ/1780م قد يكون الأرجح للصواب، بحكم أن الزبيدي كان ممن عقدته بالراشدي صحبة، لذا يستحيل أن تكون وفاته في العاشرة الثانية - حسب الحفناوي - من القرن الثاني عشر، والزبيدي ولد في الربع الثاني من نفس القرن، ربما حدث خطأ مطبعي فكتبت العشرة الثانية بدل التالية؛ ينظر، الزبيدي، المعجم، ص: 432؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ص: 219.

[2] - الزبيدي، المعجم، ص: 431، الحفناوي، تعريف الخلف، ص: 221.

[3] - الزبيدي،المعجم، ص: 310.

[4] - عبد القادر بن عبد الله بن محمد السنوسي المعروف بالمشرفي، من العلماء الحفاظ كما ذكره تلميذه أبي رأس الناصر، حج إلى البقاع المقدسة واجتمع بعلماء أفاضل نفع وانتفع بهم، كان كثير التأليف في علوم الشريعة، ومشاركا في الكتابات التاريخية، وقد كان ضمن المساهمين في حملة طرد الأسبان من وهران عام 1205هـ/1791م، وألف في ذلك كتابا يعيب فيه القبائل المتواطئة مع الاحتلال سماه "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب كبني عامر؛ ينظر، أبو رأس الناصر، فتح الإله، ج2، ص: 65-73.

نسبة لحاضنته، وابنه يعرف بالغريسي (نسبة لمدينة غريس)"[1]، وكذلك ينطبق الأمر على الشيخ علي بن عمار القسنطيني[2]، فقال عنه أنه: "من ولد زيري بن مناد الصنهاجي، جد الناصر بن علناس بن حماد بن زيري، باني قلعة بجاية قرب الجزائر، والمعروفة بالناصرية"[3].

ولما كان الأمر كذلك؛ تنوعت علاقة الزبيدي بالأعلام الجزائريين بين المصاحبة والتلمذة والمشيخة، وفي غالب الأحيان جمعت الأوجه الثلاث، حيث ذكر في مؤلفه كثير ممن ربطته بهم علاقة مستحكمة الوثاق، كان يشهد لأصحابها بطول الباع العلمي داخل أروقة الأزهر الشريف، مثل العلامة الجزائري الشيخ محمد المنور التلمساني (ت 1174هـ/1760م)[4] الذي أخذ عنه الزبيدي، عندما التقى به بمناسبة سفره للحج[5]، وما هو إلا غيض من فيض علماء تبادلوا معه الفوائد، وآخرين تتلمذوا على يديه، عثرنا على أسماء بعضهم في كتب التراجم والرحلات والتقاييد. فمن الشيوخ الأعلام الذين أشار إليهم الكتاني في "فهرس الفهارس": أبي رأس الناصر المعسكري، مصطفى بن عبد القادر الراشدي، وعبد القادر بن دح الراشدي، ومحمد السنوسي، وابن سعد التلمساني، وحمودة المقايسي ... إلخ[6].

2.4. تراجم الأعلام الجزائريين من المعجم المختصر:

---

[1] - الزبيدي، المعجم، ص: 434.

[2] - لم أقف على تاريخ يؤرخ لوفاته ولا ترجمته في المصادر والمراجع المتاحة إلا ما سنورده عن حياته العلمية بلسان مرتضى الزبيدي.

[3] - نفسه، ص: 553.

[4] - محمد بن عبد الله بن أيوب المعروف بالمنور التلمساني دفين مصر العلامة الأديب المسند الرحالة، قال عنه الحافظ الزبيدي في ترجمته من ألفية السند: "العالم الفاقد للأشباه"، ساهم بدور كبير من خلال تكوينه وإجازاته في دعم الروابط العلمية بين الجزائر مسقط رأسه ومصر مستقره ومدفنه، توفي رحمة الله عليه في 12 شوال عام 1173هـ/1760م؛ ينظر، الكتاني عبد الحي، فهرس الفهارس، ص: 570-571.

[5] - الحاج الصدوق، "دور ركب الحج الجزائري في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي خلال العهد العثماني"، مجلة الفكر، العدد: 1، 2021، ص: 76.

[6] - الزبيدي، المعجم، ص: 27.

سنورد في هذا الجزء جانبا من حياة بعض الأعلام الجزائريين، كما خطَّها الزبيدي في سياق تراجمه المختصرة، منهم من أرَّخ لوفاته[1]، بينما لم يذكر شيئا عن آخرين منهم، ومعنى ذلك؛ أنهم كانوا لا زالوا على قيد الحياة لغاية إتمامه كتابة المعجم. وهم على النحو الآتي على حسب ترتيبهم الأبجدي.

1.2.4. أحمد بن علي بن أبي القاسم بن مبارك بن عبد الرحمن السقاوي القسنطيني: ولد بسقاوة، وهي قرية بلحف الجبل قرب قسنطينة بزاوية جده عبد الرحمن بغريش، ونشأ في عفة وعفاف، أخذ عن شيخنا عالم قسنطينة عبد القادر الراشدي، وقدم علينا حاجا عام 1195هـ/1781م، فسمع مني الأولية، وأول البخاري، وشيئا من شرحي على الإحياء، وحديثا من الخلعيات، وانتهى اللقاء بالمصافحة وكتابة الإجازة[2].

2.2.4. أحمد بن عمر الكنتاوي المغربي: ورد على الزبيدي منصرفا من الحج في 26 صفر 1195هـ/1782م، وسمع منه الأولية، وأول حديث البخاري مع جماعة، وأجازه خطأ، ثم رجع مع الركب المتجه إلى بلاده[3].

3.2.4. أحمد بن محمد بن عبد الرحمن أبي نعامة التواتي الملقب بـ "البكاي"[4]: الولي الصالح، منازلهم في أقبلي من عمالة توات، وزاويتهم محترمة، تولى مشيخة ركب الحج خلفا لأبيه وجده، كاتبه الزبيدي وعقد

---

(1) - ادخلنا بعض التصويبات على بعض تواريخ الوفيات، ومعلومات أخرى يمكنها أن تعرف بالمترجم إليه أكثر، وغابت عنا تراجم لعلماء أخرين لم نعثر على أسماء لهم في المصادر والمراجع المتاحة، لذلك اكتفينا بما نقله الزبيدي، وهو بذلك يفتح للباحثين شهية البحث العلمي للغوص في جوانب حياتها.

(2) - الزبيدي، المعجم، ص: 91-92.

(3) - الزبيدي، المعجم، ص: 100.

(4) - عادة ما ينتشر لقب البكاي بين القبائل الكنتية، ويحمل اللقب نوعا من التبرك والتقلّيد بجدهم الأعلى أحمد البكاي بن أحمد بن علي دفين قرية عزي بتوات، وعرف مترجمنا بالصلاح وكثرة الترحال والتجوال والأسفار، فكان محبا للعلم والعلماء، جامعا للمخطوطات إما بالشراء أو المهاداة، على دأب والده في إكرام الضيف وقيادة ركب الحج إلى البقاع المقدسة من زاويتهم العامرة في أقبلي، توفي رحمه الله تعالى في حدود عام 1232هـ/1817م؛ ينظر، عقباوي عزيز بن بوبكر الهاملي الكنتي، النفحات الهبية في أفنان الشجرة الكنتية، ص: 171.

معه الأخوة، بعدما وصلته أخباره، ورد على الزبيدي حاجا عام 1197هـ/1783م، فاجتمع به وسمع منه أشياء دونها في إجازة، ودعا له بالخير وانصرف عائدا لبلاده، واستمرت علاقاتهم بالمراسلة والهدايا[1].

4.2.4. أحمد بن يحي بن حمود الورتلاني الجزائري: الإمام العلامة ولد سنة 1115هـ/1703م، قرأ العلم على الشيخ محمد سعيد الورتلاني وغيره من العلماء، كاتب الزبيدي من أجل استقبال أولاده بمصر، وإقرائهم علم الحديث[2].

5.2.4. إدريس بن عمر بن عبد القادر التنلاني التواتي: الشيخ الصالح العالم، كان دائم التردد على مصر، التقى بالزبيدي في مناسبتين منها عام 1186هـ/1772م في دار الكتب، فطلب منه شيء من شرح القاموس، والمرة الثانية استضافه الزبيدي في منزله عام 1194هـ/1780م[3]، وكتب له إجازة في كراسة ضمنت أسماء أولاد التنلاني، وذلك بعدما سمع عليه شيئا من دلائل الخيرات والأحزاب الشاذلية في التصوف[4].

6.2.4. حسين بن محمد سعيد بن الحسن بن أحمد بن علي البكاي الحسني: من قبيلة بني ورتيلان البربرية نواحي بجاية، قرأ على شيوخ بلاده، ومنهم: الشيخ أحمد بن يحي بن حمود الورتيلاني، ورد مصر عام 1170هـ/1757م، وجاور بها مدة، وألف رحلته "نزهة الأنظار في فضل التاريخ وعلم الآثار، اثنى عليها الزبيدي قائلا: "رحلته المذكورة جامعة للمحاسن، فيها من الفوائد ما لا يوجد في غيرها"، وكان قد التقى

---

(1) - الزبيدي، المعجم، ص: 118.

(2) - نفسه، ص: 132.

(3) - قد يفند هذا التاريخ ما تناولته المؤلفات التواتية (قطف الزهرات)، المؤرخ لوفاة التنلاني عام 1182هـ/68-1769م، فإذا أخذنا بعين الاعتبار استقبال الزبيدي للتنلاني في منزله بالقاهرة في مناسبتين منفصلتين، يكون الفارق بين تدوين تاريخ الوفاة، وتاريخ آخر وفادة له (التنلاني) على الزبيدي اثنا عشر عاما، مما يضع وفاته بعد عام 1194هـ/1780م؛ ينظر، سيدي عمر محمد عبد العزيز، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ص: 81.

(4) - الزبيدي، المعجم، ص: 157-158-159.

بالزبيدي، وذكره ضمن مشاهير مصر والحجاز الذين صحبهم، توفى رحمه الله تعالى عام (1194هـ/1780م) [1].

7.2.4. خلف بن مسعود بن شريط القسنطيني: الإمام الفاضل، أحد المدرسين المشهورين بالفضيلة، كاتب الزبيدي ليستجيزه بما له من المرويات، فكتب له إجازة في 11 جمادى الثانية 1197هـ/1783م [2].

8.2.4. عبد الله بن محمد الكنتاوي المغربي: الشيخ الصالح المستعد، أخذ في بلاده أزدات[3] عن الشيخ المختار الكبير الكنتي، ورد مصر حاجا مع الركب التواتي عام 1194هـ/1780م، وعاد من الحرمين مع الركب المصري، فاستغل الفرصة لمجالسة الزبيدي، تبادلا خلالها المنافع والفوائد والإجازات، وقرأ عليه وأجازه في الحديث المتسلسل بالأولية، والشعر، وحديث إنما الأعمال بالنيات، وذلك في 26 صفر 1195هـ، ثم فارقه راجعا لبلاده، محملا إياه أمانة تبليغ السلام لشيخه المختار الكبير الكنتي [4].

9.2.4. عبد الرحمن بن عبد الجليل بن محمد آمقران الحسني البجائي المالكي: صاحبنا الشريف الصالح، ترعرع بمسقط رأسه بجاية في زاويتهم متعلما ثم معلما، قدم مصر عام 1173هـ/1760م، وحضر دروس المشايخ، اجتمع بالزوبيدي، فحفظا عقد الأخوة والمحبة في الله [5].

10.2.4. عبد القادر بن الحاج الحسني التلمساني المقرىء: صاحبنا العلامة، حضر في مصر دروس علمائها، وجوَّد القرآن على الشيخ محمد المنير، والذي قدمه بالنيابة لإقراء دروس الحديث، والقرآن الكريم

---

[1] - نفسه، ص: 214-215.

[2] - نفسه، ص: 217.

[3] - يقصد بـ"أزدات" بلاد أزواد الواقعة في شمال مالي، وهي المنطقة المحاذية للجنوب الجزائري.

[4] - توثق المصادر لمراسلات بين الزبيدي والشيخ المختار الكبير الكنتي (ت 1226هـ/1811م)، وهو أحد أعلام القادرية، ومؤسس الفرع المختاري الكنتي في عموم أفريقيا، انتهت إليه رئاسة العلم والطريقة في القرن (13هـ/19م)، فكان كثير التأليف في علوم الشريعة واللغة والأدب والتصوف، وقد راسله العلامة الزبيدي عن طريق أحد تلامذته من مصر ومدحه؛ ينظر، البرتلي محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور "معجم تراجم العلماء في موريتانيا وما يليها من مناطق الصحراء والسودان"، ص: 272-273-274؛ الزبيدي، المعجم، ص: 300.

[5] - الزبيدي، المعجم، ص: 348.

برواق المغاربة، سمع عن الشيخ الزبيدي الحديث المتسلسل بالأولية والشعر عام 1195هـ/176م، توفي يوم السبت 18 شعبان 1202هـ/1788م[1].

11.2.4. عبد القادر بن محمد بن أحمد بن المبارك الحسني الراشدي الأثري القسنطيني: ولد بقسنطينة، كانت له رحلات علمية للجزائر وتونس للأخذ من علمائها، هيأ بها نفسه لإفادة أبناء بلدته، يجالس علماء بلاده والأمصار، ويفحم خصومه بالحجج الدامغة، حتى أصبح محل احترام الخاصة، وانتقاد العامة الذين رموه بالعظائم، ولما شاع خبره، راسله الزبيدي طلبا للإجازة، فأرسل إليه كتابين يجيزه فيهما بكل مروياته ومسموعاته، ألف نظم في تحقيق مذهب السلف، كتب عليه علماء الحرمين الشريفين، والشيخ أحمد الدردير والزبيدي من مصر، لم يذكر المعجم للقاء جمعهما، ظل محافظا على سنة الأنبياء في نشر السنة وإلقاء الدروس، حتى وفته المنية في أوائل ذي الحجة 1194هـ/1780م[2].

12.2.4. عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الراشدي المعسكري: صاحبنا العلامة الفاضل، نشأ في بلدته، وقرأ على والده وأخيه الأكبر محمد السنوسي ومصطفى بن المختار، قدم الأزهر وجاور به، وحضر دروس المشايخ حسن الحداوي، ومحمد الأمير، وأحمد البيلي، وأحمد الدردير، وقد اجتمع بالزبيدي يوم الجمعة 20 صفر 1192هـ/1778م، سمع منه الحديث المتسلسل بالأولية، وكتب الحديث الستة، ومسانيد الأئمة، والجامع الصغير للسيوطي، والمواهب للقسطلاني، والصحاح والشمائل بمقام الحنفي، والأمالي الشيخونية والحنفية، شهد له المترجم بقوة الفهم في المعقولات، والجدية العارضة في البحث، وختم تلك الزيارة بإجازة، لم يستثن فيها أولاد المترجم له ومعلمه مصطفى بن المختار وأحمد المفتي وبعض علماء الراشدية[3].

13.2.4. علي بن عمار المنصور بن عمر بن الحاج أبي القاسم الزيراوي القسنطيني: ولد بقسنطينة، وقرأ العلم بتونس على الشيخين محمد الغرياني وعبد الله السوسي وحضر دروس شيخنا الشيخ عبد القادر الراشدي، ورد على الزبيدي حاجا عام 1193هـ/1779م، ولازمه في بيته مدة يقرأ عليه قراءة سماع البخاري

---

[1] - نفسه، ص: 419.

[2] - نفسه، ص: 431-432.

[3] - نفسه، ص ص: 434-437.

ومسلم، وسنن الترميذي وابن ماجة والنسائي، والأنطاكي ودلائل النبوءة للبيهقي، ومواضع من شرح القاموس... إلخ، وختمت تلك القراءات بإجازة مطلقة له ولولديه وشيخه عبد الله السوسي[1].

14.2.4. عمر بن عبد الرحمن بن عبد القادر التواتي المغربي[2]: شيخ صالح من قبيلة التنلاني، سمع مع ابن عمه إدريس بن عمر السالف الذكر أشياء، وكتب اسمه في الإجازة، ثم عاد لموطنه مع الركب الفزاني[3].

15.2.4. محمد بن إسماعيل بن محمد بن محمد الحنفي القسنطيني الشهير بابن كوجك: الشيخ الفاضل الخير، أحد أعيان قسنطينة، ورد على الزبيدي عام 1196هـ/1782م، فسمع منه أشياء دونها في الإجازة، وكان هذا العالم الجليل باعث الزبيدي على تأليف كتاب "عقد الجواهر المنيفة في أصول مذهب الإمام حنيفة"، وجمع له في كراس الضروريات من مناسك الحج سماها "إعلام الأعلام لمناسك حج بيت الله الحرام"، وخلال تردده على الزبيدي ألبسه الأخير الخرقة وأجازه ولقنه الكثير من الأذكار...[4].

16.2.4. محمد بن حسن الحنفي الجزائري ثم المدني الملقب بالأزهري (ت 1187هـ/1773م)[5]: ولد بمكة، لأن أبوه كان يتجر بالحرمين في حدود الستين من المئة الثانية بعد الألف، قدم مصر ولازم الشيخ حسن المقدسي مفتي الحنفية، فقرأ عليه المتون الفقهية، ودرجه في أدنى زمن إلى معرفة طرق الفتوى، فأصبح

---

(1) - الزبيدي، المعجم، ص: 553-554.

(2) - يشتهر في توات "عمر الأصغر" تمييزا عن جده العلامة أبو حفص عمر الأكبر، وهو أبو حفص عمر - الأصغر - بن عبد الرحمن بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني، كان كثير الرحلات الحجازية، فحج سبع حجات متواليات، وكان مواظبا على درس العلم وفعل الخيرات، توفي رحمه الله تعالى في الفلاة التي بين تيطاف وأولف من بلاد توات في 15 جمادى الأولى عام 1221هـ/1806م... إلخ؛ ينظر، سيدي عمر، قطف الزهرات، ص: 89.

(3) - الزبيدي، المعجم، ص: 590.

(4) - نفسه، ص ص: 659-665.

(5) - سماه الجبرتي في تاريخه "العمدة الشاب الصالح، الشيخ محمد بن حسن الجزائري، ثم المدني الحنفي الأزهري، ولد بمكة إذ كان والده يتجر بالحرمين في حدود الستين، وقدم به إلى مصر، فلازم الشيخ الحسن المقدسي، مفتي الحنفية، ملازمة كلية، وانضوى إليه، فقرأ عليه المتون الفقهية، ودرجه في أدنى زمن إلى معرفة طرق الفتوى، حتى كان معيدا لدروسه، وكاتبا لسؤلاته..."؛ ينظر، الجبرتي، عجائب الآثار، ج1، 595.

يعيد دروسه، ويكتب سؤلاته، ويفتي بإذن شيخه ويقرأ البخاري كل جمعة بالصرغتمشية، كما حضر دروس المشايخ: علي الصعيدي، ومحمد الأمير، وأحمد البيلي وغيرهم، بعد وفاة شيخه استقل بالكلمة، وكانت بينه والزبيدي ود ورحمة ومحاورات، مات في عنفوان شبابه في أثناء عام 1187هـ/1773م[1].

17.2.4. محمد بن خالد العنابي المغربي: صاحبنا الشيخ الفاضل الناسك، أقام بتونس فحضر دروس شيخنا الشيخ صالح بن الحسين الكواشي، ثم قرأ الشفاء على الشيخ أحمد السوسي، وجلس بقرية غار الملح يقرئ الأطفال، سمع من الزبيدي بعض الحديث في مصر عام 1197هـ/1783م، وحضر دروسه في منزله، وحصل على نسخة من شرح الزبيدي على الحزب الكبير للشاذلي، وانتهى المدارسة بإجازته، قبل أن يكمل طريقه عبر البحر لأداء مناسك الحج في البقاع المقدسة، وستمرت المراسلات بينهما[2].

ومن خلال هذا العرض المختصر للتراجم، اتضحت لنا أكثر العلاقة بين الزبيدي والأعلام الجزائريين، فهؤلاء الأعلام الذين ذكرهم، منهم من أفاضت كتب التراجم والرحلات الحديث عنه، بينما هناك جزء آخر لم نجد له ذكر إلا في هذا المؤلف، الذي جمع بين التاريخ والفقه والتصوف والشعر والأنساب، فعرفنا من خلاله أن العلاقة أخذت طابع تأثير وتأثر، فمثلما استفاد الأعلام الجزائريين من علماء مصر والمشرق، كذلك اعترف الزبيدي بموسوعية والإلمام أعلام الجزائر خلال الفترة العثمانية، بإجادتهم ضروب العلم، فكانوا مؤثرين في الحياة العلمية في جامع الأزهر، يعقدون الحلقات ويقرؤون الطلاب ويجيزون الحفاظ المثابرين[3].

5. خاتمة:

في ختام هذه الدراسة المتعلقة بكتابات العلامة مرتضى الزبيدي في مؤلفه "المعجم المختص" للتعريف بأعلام الجزائر في القرن 12هـ/18م، وهو الذي جمعته بهم علاقات وطيدة، ترجمتها كتاباته، وتخصيصهم تراجم مهمة، قليلا ما يعثر عليها الباحث في رفوف المكتبات الوطنية أو العربية، فساهم

---

[1] - الزبيدي، المعجم، ص: 61-62.

[2] - نفسه، ص: 691-692.

[3] - لزغم، الإجازات العلمية، ص: 351.

بدوره في كتابة حلقة من تاريخ الجزائر الحديثة خلال العهد العثماني، والذي دفع الكثير للبحث في المواطن العربية، عن جهابذة العلم للإفادة والاستفادة، ومن النتائج المتواصل إليها، نذكر الآتي:

- احتوى مؤلف المعجم المختص على مادة علمية لا يستهان بها، في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية والشرعية، فيمكن أن يجد الباحث ضالته في ميدان التاريخ والأنساب والمعارف والعلاقات بين الشعوب، لأن مؤلفه لم يغفل عن تقديم دعائم بحثية للتوسع في تراجم الشخصيات.

- يكتشف المطالع لكتابات العلامة مرتضى الزبيدي، أن الأعلام الجزائريون، شكلوا معادلة مهمة في تاريخ الحركة العلمية بالمشرق، من منطلق نبوغهم وارتباطاتهم بعلماء عصرهم، مما زادهم ثراء علميا وشهرة.

- تقدم التراجم الموسعة والمختصرة فكرة عن أعلام جزائريين، اتبعوا طريق العلم والحج لولوج مصر ومجالسة علمائها، فلم يطل مقامهم، حتى أصبح يشار لهم بالبنان في العلم والفضل، فعلاقة الزبيدي بهم انتقلت من مستوى التلمذة والمشيخة، إلى الصحبة والمراسلات التي عمقت التلاقي المعرفي والاجتماعي.

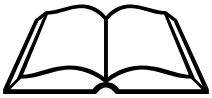
- مثَّل الأزهر الشريف خلال تلك الفترة، المورد الذي ينهل منه الأعلام الجزائريين، سواء المجاورين به، أو العابرين، حيث كانوا يستغلون الفرص السانحة، لملاقاة المشايخ الفضلاء للمباحثة في متفرقات وجوامع العلوم، لتختتم تلك المجالسات والمحاورات بالإقرار العلمي الإشهادي المختوم بتصريح العالم.

- يمكن من خلال المعجم، رصد التنوع المذهبي الذي عرفته الجزائر بقدوم العثمانيين، خصوصا وأنهم كانوا أحناف شجعوا على انتشاره بين علماء الجزائر، فارتقى الأعلام الجزائريين إلى مستويات المشيخة المذهبية، وهو ما أشار إليه مرتضى الزبيدي عند ترجمة العلامة علي بن عمار الجزائري، الذي كان باعثه لتأليف "عقود الجواهر المنيفة في أصول مذهب الإمام حنيفة"، وكذلك محمد بن حسن الحنفي الملقب بالأزهري.

- كان الزبيدي حريصا على إرفاق اسم المنطقة الجغرافية بلقب الشهرة العائلي لكل عالم جزائري، ومن خلال تتبعنا للأسماء المدرجة في التراجم، فإنه كان للمترجم شهرة عبر كامل ربوع وطن الجزائر، وهذا ليس

بالغريب حسب ما ذكره الجبرتي في آثاره بأن المغاربة نالوا قبولا من الزبيدي الذي كانت لهم نية صادقة فيه.

ولابد من الإشارة إلى أن الإلمام بالموضوع يحتاج دراسات أكثر عمقا، فما تناولناه كان سوى القليل ، وما تطرقنا إليه من تراجم لا يعكس حجم البحث الذي يحتاج دراسة أشمل، خاصة وأن الزبيدي نقل أسماء بعض الأعلام المهمين، على غرار سيدي أحمد بن حيدة الورتلاني (صاحب الرحلة الشهيرة) والذي سماه بشيخنا، وهو من الشخصيات التي انكبت الكتابات على دراسة سيرته وأعماله، إضافة لمحمد بن إسماعيل ومحمد حسن الحنفيان وعبد القادر الراشدي القسنطيني وغيرهم، فجاءت معلوماتنا موجزة جدا، لاتزال يحتاج أبحاث جادة عندما يتوفر الوقت والمادة العلمية اللّازمة.



المصادروالمراجع

1- محمد، مرتضى الزبيدي، (1427هـ/2006م)، المعجم المختص ويليه معجم شيوخه الصغير وإجازاته للعلامة محمد سعيد السويدي، تحقيق، نظام محمد صالح يعقوبي ومحمد بن ناصر العجمي، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

2- عبد الرحمن بن حسن، الجبرتي، (1998)، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

3- عايشة حسن حماد، أبو عطيوي، (1440هـ/2019م)، الحياة العلمية في مصر والشام في القرنين الثامن والتاسع الهجريين من خلال كتاب "إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ" لابن حجر العسقلاني، إشراف، د. غسان محمود أحمد وشاح، بحث مقدم لإتمام متطلبات درجة الماجستير في التاريخ والآثار، كلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين.

4- فوزية، لزغم، (2011)، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518-1830م)، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر.

5- محمد، بومدين، (ديسمبر 2020)، الرحلات العلمية التلمسانية الوافدة على الأزهر الشريف ودورها في ربط أواصر التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب ما بين 962هـ/1555م-1107هـ/1699م، مجلة التاريخ المتوسطي، جامعة بجاية، المجلد الثالث، العدد الثاني.

6- عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم، (1982)، المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517-1798) "دراسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

7- الحسن بن محمد، الورتيلاني، (1326هـ/1908م)، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورتيلانية، طبع في مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر.

8- محمد، أبو رأس الجزائري، (د. ت)، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي رأس الذاتية والعلمية"، تحقيق وضبط وتعليق، محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

9- خير الدين، الزركلي، (2002)، الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
10- الحاج، الصدوق، (1442هـ/ 2021م)، دور ركب الحج الجزائري في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي خلال العهد العثماني، مجلة الفكر، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد الأول، المجلد الخامس.
11- محمد شاكر، محمود، (1997م)، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.
12- محمد، بوسلامة، (2019م)، "هجرة الجزائريين إلى بلاد المشرق في العهد العثماني (1518-1830)"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال أفريقيا، جامعة ابن خلدون بتيارت، المجلد الثاني، العدد الأول.
13- عبد الحي عبد الكبير، الكتاني، (1402هـ/1982م)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق، حسان عباس، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
14- أبو القاسم، سعد الله، (1998م)، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
15- محمد أبي القاسم الحفناوي، (1324هـ/1906م)، تعريف الخلف برجال السلف، طبع بمطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر.
16- عزيز بن بوبكر الهاملي عقباوي الكنتي، (2016م)، النفحات البهية في أفنان الشجرة الكنتية، ط 2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.
17- محمد عبد العزيز سيدي عمر ، (2002م)، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، (د د ن).
محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، (2010م).
18- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور "معجم تراجم العلماء في موريتانيا وما يليها من مناطق الصحراء والسودان"، تحقيق، عبد الودود ولد عبد الله وأحمد جمال ولد الحسن، دار نجيبويه للبرمجة والدراسات والطباعة والنشر، القاهرة، مصر.